

التفسير المختصر - سورة التوبه (٠٩) - الدرس (١٩ - ٠٨) : تفسير الآياتان ٨٢-٨١ ، العبرة  
لمن يضحك آخرأ.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٨-١٥

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:  
أليها الأخوة الكرام:

الآلية الواحدة والثمانون، من سورة التوبه، وهي قوله تعالى:

﴿فَرَحَ الْمُخْلَفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَقْ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١)  
﴿وَلَيَكُونُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢)

سيدنا الإمام الغزالى رحمه الله تعالى، في حوار مع نفسه، قال يا نفس، لو أن طيباً حاذقاً منعك من أكلةٍ تحبينها، ماذا تفعلين؟ لا شك أنك تمنعين، ولو أن الأكلة محببةٌ إليك، حافظاً على صحتك.

الإنسان أيام تكون آخذ بيته رابع طابق، مزينه، تعان فيه يقول له الطبيب لازم تسكن بيته أرضي، ثاني يوم حطه عند الدلال ثاني يوم، بقالك الصحة ما معها لعبة.  
يقول هذا الإمام الجليل: يا نفس لو أن الطبيب منعك من أكلةٍ تحبينها، لا شك أنك تمنعين،  
أ يكون الطبيب أصدق عندك من الله.

الله ما منعك عن أشياء كثيرة، ما أمرك، ما نهاك، معقول تسمع كلام طبيب، وتتجاهل كلام خالق الأطباء.

أ يكون الطبيب أصدق عندك من الله، قال إذاً ما أفكرك.

أ يكون وعيid الطبيب، إذا ما بتغير البيت في مشكلة بالقلب، إذا ما الملحة تركته يطلع الضغط، إذا كان الضغط طلع يجوز يصير في انفجار بالدماغ، خثرة دماغية، مala حل هي، أو تنزلق الشبكية.  
أ يكون وعيid الطبيب أصدق عندك من وعيid الله، إذاً ما أجهلك فالإمام الغزالى بحوار منطقى مع نفسه، يتهم كل إنسان لا يطيع الله إما بالكفر، لأن الطبيب عنده أصدق من الله، وإما بالجهل لأن وعيid الطبيب أشد على نفسه، وأخوف من وعيid الله.

فرينا عز وجل يبين هنا:

﴿فَرَحَ الْمُخْلَفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

المعنى الواسع للآلية: يعني إذا في احتفال الإنسان يلبىء، في مولد في وجاهة، في سيران، في عزيمة، في حفل، في تكرييم، أما عند البذل، عند غض البصر، عند إنفاق الأموال، عند تعلم القرآن عند أداء الصلوات، بتلاقي في كسل، إذا موقف في وجاهة، أيام بمجلس عام، يدفع مئات

الألوان، تكون له أولاد أخ يموتون من الجوع، ما يعطين شي، لأنه هون ما في لوحة، هون في لوحة المحسن الكبير، هون ما في المحسن الكبير، هون ممعونة هنا، ما يعطي شي.

### ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

إذا في وجاهة، يروا أنه أبي ابن خلف كان زعيم المنافقين، وكان يجلس إلى جنب النبي عليه الصلاة والسلام، فلما توفي، طلب قميص رسول الله قال: أعطوه قميصي، وماذا يغنى عنه قميصي من الله؟ الآن استقر في جهنم حجر، كان يهوي سبعين خريفا.

يعني بتحضر حفلة يكن لك مقعد أول، يكن لك اسم، الناس يبجلوك، لا تقدم ولا تأخر، المطلوب أن تكون علاقتك مع الله صحيحة، المطلوب البذل، التضحية، الالتزام.

هل الولي الذي يمشي على وجه الماء؟ قال لا: الإمام الجبید هل الولي الذي يطير في الهواء؟ قال لا: الولي كل الولي، الذي تجده عند الحلال والحرام، أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.

أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.

### ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾

(سورة يونس: ٦٢)

أجمل تعريف وأدق تعريف، وأبسط تعريف:

### ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾

(سورة يونس: ٦٣)

أنت ولي، وزوجتك ولية، وأخوك ولي، وكل مسلم ولي، شو الولي إنسان عرف الله وأطاعه، وانتهى الأمر.

### ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾

لو كان لبسك عادي، لو مالك مظهر ديني، إنما التقوى ها هنا كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إنما التقوى ها هنا ))

قال عليه الصلاة والسلام:

((أشدكم لله خشية أنا، أئم وأقوم، أتزوج النساء، آكل اللحم أصوم وأفتر، هذه سنتي، فمن رغب عنها فليس من أمتي.))

### ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَتَّفَرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارٌ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)﴾

اخترت هذه الآية، لها تين الكلمتين:

﴿فَيَضْحَكُوا قَبِيلًا وَلَيْبُكُوا كَثِيرًا﴾

العبرة لا لمن يضحك أولاً، العبرة لمن يضحك آخرًا، الإنسان إذا كان الله أعطاه الدنيا يضحك، أيام يضحك وينتني نصفين يقشع لوراء، يطلع منه صوت ضحك بسمع الحارة كلها، عما يضحك، لكن لو علم ماذا وراء هذا الضحك؟.

يعني أيام إنسان يكون راكب سيارة، والطريق انحداره شديد وفي نهاية الطريق منعطف حاد، والهويات عما ينسمو، والسيارة فخمة، بس ما فيها فرام ، عما يضحك، لو عرفان ما فيها فرام، وأخر الطريق رايح يعمل حادث غير ميت، ما كان يضحك، كان يبكي فالبطولة تعرف جاهزية السيارة، ما يكون في هواء رخييم، بس فرام ما في، والطريق منحدر والمنعطف حاد.

فأ والله قال :

**﴿فَيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلَيَبْكُوا كَثِيرًا﴾**

المهم من يضحك آخرًا.

**﴿رَبَّنَا أَخْرَجَنَا مِنْهَا فَإِنْ عَدْنَا فَإِنَا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسُوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنَّى جَزِيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَانِزُونَ (١١١)﴾**

(سورة المؤمنين: ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩)

**﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمُلْكُ الْحَقُّ لَمَّا إِلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ﴾**

(سورة المؤمنين: ١١٥)

**﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾**

(سورة التوبية: ١٢٩)

في آية أخرى بمكان آخر، يقول الله عز وجل:

**﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤)﴾**

(سورة المطففين: ٣٤)

لما الطفل يولد، كل من حوله يضحك وهو عما يبكي، ماضي الحال، لما بيموت، كل من حوله يبكي، فإذا كان بطل، ساعتها يضحك.

وا كربتاه يا أبت، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه. اجهد أن يكون الموت عرسك، أن يكون الموت أسعد لحظات وجودك، الصحابة كانوا، مرحباً بلقاء الله، ينتظر هذه الساعة أسعد الناس بهذه الساعة، فبحسب عملك الصالح، من قدم ماله أمامه سره اللحاق به، عملك الصالح هو يلي حدد موقفك من الموت الموت إما القبر حفرة من حفر النيران، أو روضة من رياض الجنان.

**﴿النَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾**

(سورة غافر: ٤٦)

يعني آل فرعون من ست آلاف وخمسمائة سنة كل سنة ثلاثة مائة وخمسون وستين يوم، كل يوم مرتين:

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾

والخير للأمام.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾

هكذا الإنسان .

أما إذا عرف الله عز وجل، قبره روضة من رياض الجنة قال:

﴿فَلَيَضْحُكُوا قَبِيلًا﴾

أيام إنسان يغتني فجأةً، يستلم منصب رفيع يشتري بيت فخم، السيارة ثمنها أربع وعشرين مليون بقلak أخذتها.

﴿فَلَيَضْحُكُوا قَبِيلًا وَلَيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾

فالبطولة، من يضحك آخرًا، البطولة موقف الإنسان عند الموت، البطولة أن تلقى الله وأنت راضٍ عنه، وهو راضٍ عنك، البطولة الكيس، شوف هذا الحديث ما أدقه معروف، الكيس العاقل من دان نفسه، ضبطها ضبط دخله، ضبط إنفاقه، ضبط عينه، إذنه، لسانه، يده بيته عمله، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني. أكثر المسلمين بقلak يا رب نحن عبيد إحسان مالنا عبيد امتحان، يا رب لا تعاملنا بعملنا، هل الكلام ماله معنى.

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)﴾

(سورة النحل: ٣٢)

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾

(سورة الحجر: ٩٢، ٩٣)

أنت تدعوا بدعا خلاف القرآن.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾

لذلك الإنسان إذا دع، قال عليه الصلاة والسلام:

((اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، لا تطلب الرحمة وحدها لها ثمن الرحمة طلب موجباتها ))

يعني لو فرضنا ابن قال لأبيه: وأبوه ملك، قال له: بدي سيارة، قصر، هي قصر، طائرة هي طائرة، يخت هي يخت، قال له: بدي صير رئيس جامعة، قال له: هي بدها شهادات منك هي، الباقى كله مني سهل، أما إذا بدق تصير رئيس جامعة، أستاذ جامعة، هي بدق أنت يكون معك دكتوراً، هي ليست علي هي عليك.

فالنبي كان أديب جداً مع الله، ما قال اللهم إني أسألك رحمتك قال لا موجبات رحمتك، اجعلني أهل لرحمتك، رحمتك لها ثمن يا ربى لأنه لها ثمن، رحمة الله لها ثمن، فالنبي سأل الله، موجبات رحمة الله وعزائم مغفرتك، والمغفرة لها ثمن، الرحمة لها ثمن والمغفرة لها ثمن.  
والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين